

عَلَّمَ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَاتِ

الخلق العظيم

على صحتها الصلاة والتسليم

بحث في صحيح الشماثل المحمدية
والصفات النبوية والأخلاق العظيمة
التي أثنى عليها القرآن وأشاد بها
وبيان مكانة الأخلاق في الإسلام

د. عبد العزيز بن سعيد بن مغايب



تكويت

الخلق العظيم

على صاحبه الصلاة والتسليم

بحث في صحيح الشمائل المحمديّة والصفات النبويّة والأخلاق العظيمة
التي أثنى عليها القرآن وأشاد بها وبيان مكانة الأخلاق في الإسلام

د. عبد العزيز بن سعيد بن غائب

ح عبد العزيز بن سعيد بن غائب ، ١٤٤١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن غائب ، عبدالعزيز بن سعيد

الخلق العظيم على صاحبه الصلاة والتسليم / عبد العزيز بن سعيد

١٤٤١ هـ

٩٠ ص ، ١٥ X ٢١ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٥٠٢٥-٤

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الإسلام وحقوق الإنسان ٣- السيرة النبوية.

أ- العنوان

١٤٤١/١٢٦٩٤

ديوي ٢١٢.٢

رقم الإيداع : ١٤٤١/١٢٦٩٤

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٥٠٢٥-٤

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ

الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

سورة القلم ٤

وقَالَ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

سورة الأحزاب ٢١

لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّي إِيَّاكَ أَعْبُدُ
نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ وَالهُدَى
بِنُورِ شَرَعِكَ جَاءَ مُحَمَّدٌ
بِبِعْثِهِ تَجَدَّدَ لِدُنَا الْمَوْلِدُ
وَصَفَاءُ نَقَاءٍ جَمَالُ بَهَاءِ
وَخُلُقٌ عَظِيمٌ بِهِ النَّاسُ تُسَعَّدُ



إِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

مَقْرَمَةٌ

الحمد لله الكبير المُتعال، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ
عظيم الخلق والحِصال، أما بعد :

فإن الخُلُق الحَسَنَ والتعامل الطيِّب والرِّفْق والحِكمة وامْتِثال
أوامر الله ورسوله ؛ مَطْلَبٌ شرعي وإنساني واجتماعي، وأساسٌ
للسعادة والإخاء، والحضارة والبناء، وبدونها لا تقوم للمجتمعات
قائمة، وستَبْقَى في الاضطراب عائمة.

ومع قِلَّةِ اهتمام البعض بالأخلاق والإحسان، واعتقاد البعض
أن الأخلاق ليست من الإيمان، وتقصير البعض في البرِّ والصلَّة
والمعروف وحقوق القرابة والجيران؛ تزداد الحاجة لمعرفة أخلاق
رسول الله ﷺ وشمائله؛ والاطلاع عليها ونشرها مُلَخَّصَةً مُيسَّرةً،
من أصحِّ الروايات وأوثقها، بأسلوبٍ عَصْرِيٍّ سَهْلٍ.

وكم من جماعةٍ تفرَّقت، وقرابةٍ هُجرت، وعداوةٍ تأججت،
وخصومةٍ عَصفت، ونفوسٍ زُهقت، وأُسرةٍ تشتتت، وزوجةٍ
تطلَّقت..؛ بسبب: كلمةٍ جارحة، أو تعاملٍ قاسٍ، أو ظنٍّ سيئٍ، أو
تَكَبُّرٍ، أو نَمِيمةٍ، أو عِشْرَةٍ ذَمِيمةٍ.

فما أحوَجنا لِمَحاسن الأخلاق ؛ خاصَّةً مع تَدَاخُل الحضارات
والعادات ؛ عَبر برامج التواصل والفضائيات.

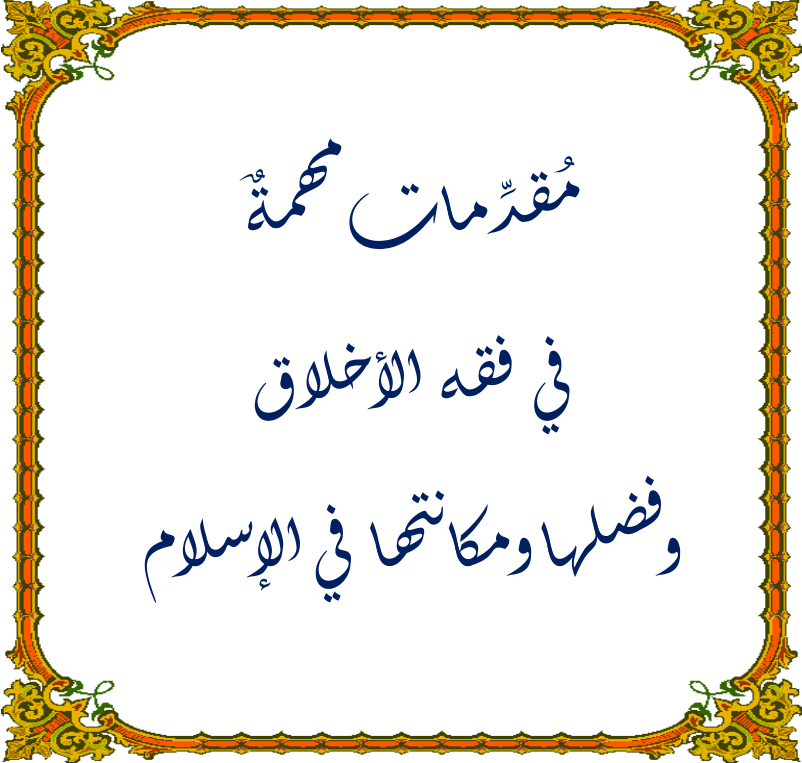
إن الأخلاق النبويَّة والشمائل المحمديَّة هي مَثَلنا الأعلى ؛ في
تعامَلنا وسلوكنا وفي كل شيء ، وتَحمي المسلم أن يُفْتَن بالماديات ،
وتُجَنَّبه الوقوع في الخصومة والمُشاحَنات.

وقد اهتمَّ بها السَلَف الصالح ودوَّنوها ؛ كالترمذي في (الشمائل
المُحمَّديَّة) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) ، والذهبي في (سير أعلام
النبلاء) ، وابن الجوزي في (صفة الصَّفوة) ؛ والألباني في (صحيح
كتاب الشمائل) ، وكُتِبُ كثيرة ؛ قديمة وحديثة.

وهنا لَخَّصْتُ - بفضل الله وتوفيقه - من الأخلاق والشمائل
النبوية ما صحَّ وثبَّت ، في ضوء القرآن والسُّنة ؛ وما صحَّحه أئمة
الحديث ؛ كالألباني والأرناؤوط وأحمد شاكر وغيرهم من المحققين.

وأسميَّته : (الخُلُق العَظِيم ؛ على صاحبه الصلاة والتسليم) ، والله
أسأل أن يتقبل هذا العمل ، ويَجبر به الخَلل ، ويَغفر به الزَّلل .
المؤلف .

غرة ذي الحجة ١٤٤١ هـ



مُقَدِّمَاتٌ مَهْمَةٌ
فِي فِقْهِ الْأَخْلَاقِ
وَفَضْلِهَا وَمَكَانَتِهَا فِي الْإِسْلَامِ

معنى الأخلاق

هي السجية والطبيعة الباطنة، والقيم المعنوية والتدين والمروءة، وعمل الفضائل، وترك الرذائل، وبذل الندى وكف الأذى^(١).

الأخلاق قسمة وأرزاق

كما قَسَمَ اللهُ الأرزاقَ بين الناس قَسَمَ كذلك الأخلاق والأَنْفُسَ، والناس منها بين مُسْتَقِيلٌ ومُسْتَكْثِرٌ.

قال تعالى: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ

بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف: ٣٢.

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَمَنْ ضَنَّ - أَي بَخَلَ - بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يَجَاهِدَهُ ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)^(٢).

(١) لسان العرب لابن منظور (٣٤٧/٦)، التعريفات، للجرجاني (ص ١٠١)، تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ١٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (٣٦٧١)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم (٢٧١٤)، وفي صحيح الجامع (٩٦٦).

مصادر الأخلاق ودعائمها

إن الأخلاق الحسنة والسلوك المستقيم لها ركائز ومصادر ؛ لا تقوم إلا بها ، ولا تثبت إلا بالتربية عليها ؛ يجب معرفتها والاهتمام بها ، والتفقه فيها ..

تلك المصادر والركائز هي :

- عقيدة التوحيد والإيمان المستقيمة الراسخة.

- الصلاة الخاشعة ؛ بطهارتها وجماعتها وصفتها المشروعة.

- القرآن الكريم ؛ قراءةً وتعلماً وتدبراً وتحلقاً وعملاً.

- الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية ؛ اطلاعاً وتعلماً واتباعاً.

ولو تأملنا (أركان الإسلام الخمسة) لوجدنا فيها الكثير من الأخلاق الحسنة، ويقظة الضمير، وتهذيب النفس والسلوك، والبر، والصلة، والإحسان والترابط، والتراحم، والجود، والبذل والتضحية، والسماحة، والتسامح، والفضائل، وحفظ الضروريات الخمس : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ..

مفهوم الأخلاق وحققتها في الإسلام

الأخلاق - بمفهومها الواسع في الإسلام - تشمل :

الأخلاق (مع الله) - جل وعلا - بالتقوى والمراقبة والطاعة والتعظيم والخشية، والقيام بما أمر، والابتعاد عن ما حرّم.

والأخلاق مع (الملائكة الكرام) بالإيمان والمحبة والحياء ، وأنهم حَفَظَةٌ عَلَيْنَا يَكْتُبُونَ أَعْمَالَنَا ؛ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾

يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿﴾ الانفطار: ١٢.

والأخلاق مع (القرآن والسنة) ؛ بالإيمان والعمل والتخلق والتعظيم والاتباع والتمسك والاعتصام.

والأخلاق مع (الناس) بالصدق والوفاء والتواضع والأخلاق الطيبة والعفو والتسامح والستر ، ويجب لهم ما يجب لنفسه.

وبطيب الكلام، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، وبذل الإحسان ، وكف الأذى ، والتعامل الحسن ؛ سواء التعامل (المباشر) أو التعامل (غير المباشر) عبر وسائل الإعلام والفضائيات ، وبرامج التواصل ؛ فالحاجة فيها أشدّ لمراقبة الله وحسن الخلق ، والصدق، وانتقاء الألفاظ والكلمات ..

"التواضع" أبهى صور الأخلاق

ولا شك أن "التواضع" هو أبهى وأجمل صور الأخلاق الطيبة، وأن "الكبر والتعالي" خلقٌ شيطانيٌّ معيبٌ مشينٌ؛ سواء (كبر القلب) عن قبول الحق، أو (كبر النفس) وغطرسة اللباس والنظرات وصعّر الخد والفخر بالمال والجاه ونحو ذلك؛ عياداً بالله.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ غافر: ٢٧.

وقال النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقالوا: إن الرجل - أي والمرأة - يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ فقال ﷺ: (الكبر: بطر الحق، وغمط الناس) (١).
وصدق القائل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو وصيعُ

(١) رواه مسلم (٩١)، واطر الحق: رده، وغمط الناس: احتقارهم، أما قوله: "لا يدخل الجنة": أي حتى يُعذب ويُتقى، لأن المؤمن المتكبر لا يدخل في النار، إنما يخرج منها بإيمانه لكن بعد التنقية، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب. (شرح النووي على مسلم ٩١/٢).

الأخلاق من العقيدة والإيمان

إن الإسلام دينٌ شامل، ومنهجٌ متكامل، يتضمّن العقائد والعبادات والسلوك والأخلاق، ولا يُهمل شيئاً من ذلك.

وحُسْن الأخلاق والتعامل الحسن في القول والفعل هو من أبرز شعائر الإسلام وسمات المسلم.

وقد ربط رسولُ الله بين الإيمان وحسن الأخلاق؛ فقال ﷺ:

(أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا) ^(١).

فحُسْن الأخلاق من الإيمان، ومن سلامة الاعتقاد، والعكس. ولذلك فإن أئمة السلف الصالح ^(٢) بينوا أن أهل السنة والجماعة من صفاتهم: حُسْن الأخلاق، والتعامل الطيب، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل الإحسان، وكف الأذى، والصدق، والوفاء، والعفو، والتسامح، والتواضع

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٣٠).

(٢) كالإمام إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩هـ) في عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) في العقيدة الواسطية، والإمام الطحاوي (ت ٧٩٢هـ) في العقيدة الطحاوية، وغيرهم.

والرحمة، واللين، والرِّفق، والقناعة، والصبر، والشكر، والزهد، والإخلاص، والبر، والصلة..، وغيرها من الأخلاق الإسلامية النبيلة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا

بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿ ١١ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا

يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿ الحجرات: ١٢.

ثَوَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ

ومكانتها العظيمة في الإسلام

لقد حث الإسلام على محاسن الأخلاق ورغب فيها غاية الترغيب وحثر من مساوئ الأخلاق ورهب منها غاية الترهيب ، بل كادت مكارم الأخلاق أن تكون هي الغاية من بعثته ﷺ في قوله: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ) ^(١) ، والناس - على اختلاف طباعهم - مُتَّفِقُونَ على حُبِّ محاسن الأخلاق وبغض مساوئها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠.

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء: ١٩.

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ الإسراء: ٥٣.

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤ ، فحُسن الخُلُق من الإحسان الذي يُحبه الله.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) ، وأحمد (١٩٣٩) ، وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة برقم (٤٥) ؛ ولفظه في المسند والسنن: (.. مكارم الأخلاق).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا

فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهِتْنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ الأحزاب: ٥٨.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى: ٤٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ

وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

النحل: ٩٠.

قال المفسرون: هذه الآية موعظة قرآنية بليغة موجزة جامعة

كافية وافية، فيها الأمر بأصول الخير والأخلاق، والنهي عن

أصول الشرِّ والنفاق، ولا شيء أبْلَغَ مِنْ عِظَاتِ الْقُرْآنِ.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (ما في القرآن آية

أَجْمَعُ لِحِلَالٍ وَحَرَامٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ..).

وقال الحسن - رضي الله عنه -: (لَمْ تَتْرِكْ هَذِهِ الْآيَةَ خَيْرًا إِلَّا

أَمَرْتَ بِهِ ؛ وَلَا شَرًّا إِلَّا نَهَيْتَ عَنْهُ) ^(١).

(١) تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي ١١٨/٥، وانظر: الروح والريحان في فضائل القرآن

للمؤلف ص ٨٥؛ فضائل سورة النحل.

(أَخْلَقَ الْعَظِيمَ)

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا) (١).

وقال ﷺ: (وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ) (٢).

وقال ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِخُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) (٣).

وقال ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (٤).

وقال ﷺ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ) (٥).

وقال ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ) (٦).

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٦)، وابن حبان (٥٢٩)، وصححه في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وابن حبان (٤٨٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٤) رواه الترمذي (١٧٧٨)، وأحمد (٢١٤٠٣)، وحسنه الألباني.

(٥) رواه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني.

(٦) رواه ابن حبان (٤٦١٩)، وأبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(أَخْلَقَ الْعَظِيمَ)

وقال ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارَهُمْ خِيَارَهُمْ لِنِسَائِهِمْ)^(١).

وقال ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُؤَطَّنُونَ أَكْنَفًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ)^(٢).

وقال ﷺ: (إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ) قالوا: وما المتفهيون يا رسول الله؟ قال: (الْمُتَكَبِّرُونَ)^(٣).

وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يَجِبُ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يَجِبُ الْجُودَ، جَمِيلٌ يَجِبُ الْجَمَالَ، يَجِبُ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا)^(٤).

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وابن حبان (٤١٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الطبراني (٧٦٩٧)، والبيهقي في الشعب (٧٩٨٨)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وابن حبان (٢٤٨٢)، وحسنه البوصيري والألباني.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (١٥٢)، والبيهقي في السنن (١٩١/١٠)، وصححه الألباني

في السلسلة الصحيحة (١٣٧٨)، وصححه أيضاً العراقي في تخریج إحياء علوم الدين

(٣٠٢/٣)، والأرناؤوط في تخریج شرح السنة (٣٢٢/١٢).

(أَخْلَقَ الْعَظِيمَ)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَلَا عَلَيْهِ مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَعِفَّةُ الْمَطْعَمِ) ^(١).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) ^(٢).

ولما سُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ). قِيلَ: وَمَا أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالَ: (الْأَجْوْفَانُ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ) ^(٣).

وروى أحمدٌ في الزُّهْدِ؛ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ) ^(٤).

(١) رواه أحمد (٦٦٥٢)، والبيهقي في الشُّعْبِ (٤٨٠١)، وصححه الألباني وأحمد شاكر.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٥٣)، وهو من جوامع الكلم، ومن أجمع التوجيهات النبوية، وعليه مدار الإسلام؛ لأن (البر): اسمٌ جامع لكل خير وطاعة وفضيلة، و(الإثم): اسمٌ جامع لكل شرٍّ ومعصية ورذيلة، فكأنه عندما أطلق البرَّ على حُسْنِ الخُلُقِ يبيِّن أن حُسْنَ الخُلُقِ يعني الدِّينَ والاستقامة وعِفَّةَ النفسِ وكرَمَ التعامل.

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٩٦٩٤)، وابن حبان (٤٧٦) وحسنه الألباني.

(٤) رواه أحمد في الزهد (١٥٧٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٥).

وقديماً قالوا - في الأمثال العربية -:

في حُسْنِ الْأَخْلَاقِ كُنُوزُ الْأَرْزَاقِ ، شَخْصٌ بِلَا أَخْلَاقٍ كَشَجَرَةٍ
بِلَا أَوْرَاقٍ ، الْحِلْمُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ أَطَاعَ الْغَضَبَ أَضَاعَ الْأَدَبَ ،
مَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ ضَاقَتْ أَرْزَاقُهُ ، الْمُؤْمِنُ بِشَرِّهِ فِي وَجْهِهِ وَحَزَنُهُ فِي
قَلْبِهِ ، كَسَبَ الْقُلُوبَ أَوْلَى مِنْ كَسَبِ الْمَوَاقِفِ ، الْإِعْتِدَارُ مِنَ الْأَخْلَاقِ
الْأَحْرَارِ.

وقالوا : كُنْ كَاللَّيْلِ فِي السِّتْرِ ، وَكَالنَّهَارِ فِي الْوَضُوحِ ، وَكَالْبَحْرِ فِي
الْكَرَمِ ، وَكَالْجِبَالِ فِي الْحِلْمِ ، وَكَالْأَرْضِ فِي التَّوَاضُعِ.

* * *

متى يُؤَجَّرُ الْمُسْلِمُ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَهَلْ يُؤَجَّرُ الْكَافِرُ عَلَيْهَا؟

إن الأخلاق الحسنة من شعائر الإسلام الظاهرة ، وهي عبادةٌ تستلزم الإخلاص لله ، والمسلم عندما يتعبّد لله بالإحسان ، والأخلاق مع الناس ، ويحتسب عند الله ذلك .. فإنه يؤجّر ويثاب ؛ ولكن بشرط: أن يكون مُخلصاً لوجه الله تعالى ، طالباً مرضاته ، مُتبعاً للرسول ﷺ ، ليس مُتصنعاً ، ولا لحاجةٍ يريد قضاءها ؛ لأن الأعمال بالنيّات ، ولكلّ امرئٍ ما نوى.

أما الكافر: فهل تقع الأخلاق الحسنة منه؟ وهل يثاب عليها؟ نعم تقع من الكافر، ويوجد من يفوق أخلاق المسلم وليس بمسلم.

والكافر الخلق يؤجّر على أخلاقه وأعماله الحسنة ؛ لكن في الدنيا وليس في الآخرة ، فيُطعمه الله تعجلاً لحسناته في الدنيا ؛ لقول النبي ﷺ: (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ؛ يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر: فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ؛ حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها)^(١).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٠٨).

وفي "صحيح مسلم" قالت عائشة - رضي الله عنها: يا رسول الله: إن (عبد الله بن جُدعان)^(١) كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحْمَ ، وَيُطْعِمُ المسكين، وله خُلُقٌ حَسَنٌ ، فهل ذاك نافعُه يوم القيامة؟ فقال ﷺ: (لا يَنْفَعُهُ ، إنه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا "رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"). أي لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بالبعث وَلَمْ يَعْمَلْ لِلآخِرَةِ وَلَمْ يُسَلِّمْ ؛ فلا يَنْفَعُهُ إِحْسَانُهُ يوم الدِّينِ^(٢) .

-
- (١) عبد الله بن جُدعان من قرابة عائشة - رضي الله عنها - وهو من كُرَمَاءِ وَأَجْوَادِ سادات قريش ، وكان يُطْعِمُ الطَّعَامَ كَثِيرًا بِمَكَّةَ ، أدرك البعثة ومات ولم يُسَلِّمْ .
- (٢) رواه مسلم (٢١٤) ، وابن حبان (٣٣١) ، أما (مسألة) إذا أسلم الكافر وأخلص لله فالراجح عند أهل العلم أن الله يشيبهه على سالفِ إِحْسَانِهِ ، والله أعلم وأكرم ، وهذه الأحاديث تدل على عظيم أهمية العقيدة والتوحيد والصدق والإخلاص في صلاح وقبول الأعمال .

فَضْلُ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَخْلَاقِ

وَكَيْفِيَّةُ تَحْصِيلِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ

يَجِبُ عَلَيْنَا مُجَاهَدَةُ أَنْفُسِنَا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْمُعَامَلَةُ الطَّيِّبَةُ، وَالِاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ؛ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ مَعَ النَّاسِ. وَتَحْصِيلُ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَتَحْسِينِ الْخُلُقِ يَتِمُّ بِأُمُورٍ؛ مِنْهَا:

١ - الإِلْحَاحُ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الْأَخْلَاقِ، وَيَهْدِينَا لِسُبُلِهَا وَمَكَارِمِهَا، وَالسَّلَامَةَ مِنْ مَسَاوِئِهَا..

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الْاسْتِفْتَاكِ لِلصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ)^(١).

وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ)^(٢).

وَكَانَ ﷺ إِذَا نَظَرَ فِي الْمَرَأَةِ قَال: (اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي)^(٣). هَذَا وَهُوَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٧٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٢١) عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٩١)، وَابْنُ حِبَانَ (٩٦٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ (٩٥٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (١٣٠٧).

٢ - التفكر في عواقب سوء الخلق ، والحذر كلّ الحذر من الغضب والجدال واللوم والعنف ، ومن الردّ أو اتخاذ القرار حال الغضب والشجار.

٣ - الحفاظ على الصلاة الخاشعة وفي وقتها ، فالصلاة تُقاوم الهلع والجزع ؛ وتنهى صاحبها وحافظها عن الفحشاء والمنكر وسيء الأخلاق : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥.

٤ - تدريب النفس على حُسن الأخلاق ، فعن النبي ﷺ قال : (إنما العلم بالتعلم ، والفقہ بالتفقہ ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرّ الخير يُعطه ، ومن يتوقّ الشرّ يُوقه) ^(١).

٥ - الحذر كلّ الحذر من جلّساء السوء ، ووجوب البعد عن المُسيء ، والحسود ، والحقود ، وقليل الحياء..، وإذا عجزتَ عن رفعه إلى مستوى أخلاقك فلا تهبط إلى مستوى إساءته.

إذا جاريت في خلقٍ ذنيٍّ فأنت ومن تجاربه سواء

(١) رواه الطبراني (٩٢٩)، والبخاري معلقاً (٦٨)، والخطيب البغدادي في تاريخه

(١٢٧/٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٣٤٢).

٦- الحذر كُلِّ الحذر من اللسان ومزالقه ، ووجوب ضبط الألفاظ ؛
لأن المرء مَخْبُوءٌ تحت لسانه ، و"الكلمة" أنت تَمْلِكُهَا ؛ فإذا أطلقتها
مَلَكْتِكَ ..

احذر لِسَانِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدْغَنُّكَ إِنَّهُ ثَعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

٧ - لزوم التغابي والتجاهل - ما استطاع - عن الأخطاء والأغلاط
وهفوات الأقارب والأرحام والجيران وغيرهم ؛ مما يُمكن التغابي عنه ؛
طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ ..

ليس الغبيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ وَلَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

٨ - الفقه في واقع البيئة وواقع الناس والأشخاص والمجتمع ،
فالناس أجناس ، ولا يستوون في الأخلاق والأمزجة ، وفيهم الخير
والطيب ، والكريم ، والمسامح ، وفيهم الشرير ، والمؤذي ، وفيهم
السفيه المجادل الذي يُكثِرُ الخصام في الباطل ، ولا يبالي بأخوة ولا دين
ولا قرابة ولا قِيمٍ ولا قانون ولا عادة ولا عُرف .. ولكنه قد انسلخ
من الإنسانية وانمسخ من الأخلاق ، فهذا فِرٌّ بأخلاقك منه ،
ولراحتك أبعده من تفكيرك ودائرة اهتمامك .

إِذَا الْمَرءُ لَا يَرَعَاكَ إِلَّا تَكَلَّفَا فَدَعَهُ وَلَا تُكْثِرُ عَلَيْهِ التَّأْسُفَا
فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْقَرِيبِ وَلَوْ جَفَا

والبعض يتعمدك بالعدوان والحسد ؛ لا لشيء إلا لتمييز أو نجاح أو
نعمة وهبك الله إياها ، فكلُّ ذي نعمةٍ محسود .

وقد لا يكتفي البعض بالحسد والإيذاء والاعتداء ؛ ولكن يختلقون
المشاكل ، ويوقعون الأبرياء - من غير ذنبٍ - في الحبائل والردائل .

وَجُرْمٌ جَرَّهُ سَفْهَاءُ قَوْمٍ حَلَّ عَلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ الْعِقَابُ

وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ

كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ١٠٠ .

وقال رسول الله ﷺ : (إن الله - تعالى - خلق آدم من قبضةٍ

قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء
منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ،
والخبِيثُ والطَّيِّبُ ، وبين ذلك)^(١) .

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٥) ، والترمذي (٣٠٤٠) ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٦٣٠) .

ونستفيد من ذلك :

أن الناس أجناس ، فتميّز بينهم ، وتعامل مع كلِّ بما يناسبه
ونعرف السرِّ في شخصياتهم وتصرفاتهم وطباعهم وأخلاقهم فنعاملهم
بالصبر والحلم والتواضع والحذر والصدق والنصيحة والتجاهل
والتسامح والمداراة وسعة الصدر والمُجاملَة ..

والمقصود بالمُجاملَة : أي المصانعة ؛ في الحق وفي حدود المعروف ،
أما المُجاملَة في الباطل والمنكر فلا تنبغي ؛ بل هي مذمومة.

قال زهير بن أبي سلمى ^(١) :

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرِّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمِنْسَمٍ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ
وَمَنْ يَكُنْ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ

(١) صاحب إحدى المعلقات السبع ، وهذه الأبيات من مُعلَّقة الشهيرة ، وهو من أشعر
شُعراء العرب ، ومن أبلغهم وأصدقهم شعراً ، مات قبل البعثة ؛ فلم يُدرِك الإسلام ،
وهو أبو الصحابي الجليل والشاعر الفذ : كعب بن زهير ؛ رضي الله عنه ، و"يفرُّه" أي
يوفرُّه ويحفظه ويصونه. (انظر : جمهرة أشعار العرب ص ١٣٩ لأبي زيد القرشي).

الأخلاق عند الحكماء والشعراء

اشتهر في أقوال العرب: "الحلم سيّد الأخلاق"؛ وهذا قولٌ حكيمٌ صحيحٌ؛ فالحلم هو أعلاّ قِمة الأخلاق والصبر والتحمل وكظم الغيظ الذي أثنى الله على أهله في القرآن، وقال النبي ﷺ للأشج: (إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ) أي التأنّي والتحمّل^(١).

قال أحمد شوقي:

إِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وقال أيضا:

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ
فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا

وقال المتنبي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُحِبِّهِ لِقَوْلِ عِدَاتِهِ
وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهْمِ
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٌ

وقال أيضا:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزْدَادُ حِلْمًا
فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
كَعُودِ زَادِهِ الْإِحْرَاقُ طِيًّا

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧).

وقال الإمام الشافعي :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
إِنِّي أَحْيَيْ عَدَوِّي عِنْدَ رُؤَيْتِهِ
وَأَظْهَرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغِضُهُ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِنْ خَلٍّ يُخَالِطُنِي
أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
لِأَدْفَعُ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
كَأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ
فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْعَدَاوَاتِ

وقال المُقنَع الكندي :

وإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
فَإِنْ أَكَلُوا لِحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومَهُمْ
وَإِذَا قَدَحُوا لِي نَارَ حَرْبٍ بَزْنَدِهِمْ
وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلَفٍ جِدًّا
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
قَدَحْتُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ زِنْدًا
وَلَيْسَ رَيْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

وقال الصفديُّ في لامِيته :

وَاسْتَشْعِرِ الْحِلْمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا
وَإِنْ بُلِيَتْ بِشَخْصٍ لَا خَلَاقَ لَهُ
تُسْرِعْ بِبَادِرَةٍ إِلَى رَجُلٍ
فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلْ

* * *

مَظَاهِرُ سُوءِ الْخُلُقِ وَخَطَرُهُ

لما كاد حُسن الخلق أن يذهبَ بخيري الدنيا والآخرة؛ فإن سوء الخُلُقِ على العكس من ذلك، نَسألُ الله العافية.

لذا قال ﷺ: (وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مِنّي مَنْزِلًا في الآخرة

أسوأكم أخلاقًا؛ الثرثارون المتفيهقون المتشدقون)^(١).

وإن من سُوءِ الخُلُقِ: الغِلظة، والفِظاظَة، والعَبوس، والغضب واللُّوم، والظلم، والكذب، والكِبَر، والاستهزاء، والغيبة، والنميمة والتجسس، وسوء الظن، والتهاجُر، والتفاخُر، والحسد، والحقد، والبخل، والمَنّ، والفجور، والغدر، وإخلاف الوعد، والعقوق، والقساوة مع الزوجة والأبناء والأقرباء..

وأسوأ مَساوي الخُلُقِ: "الغضب" ذلك الداء الشيطاني المقيت، ورأس الشرور، وأوسع أبواب الخطر والهلاك؛ لأنه يجلب الأمراض والقلق والتوتر، ويوقع في الآثام والجرائم، لذا نهى عنه النبي ﷺ فقال: (لا تغضب)، وقال ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواهما البخاري ومسلم.

(١) أي: المتكبرون، رواه الترمذي (٢٠١٨)، وابن حبان (٣٥٤) وصححه الألباني.

الافتقار للاعتذار

كذلك مِن سوء الأخلاق : (عَدَم تقديم الاعتذار)، فللأسف في عصرنا هذا : البعض يُجيدون الإساءة والخطأ وسوء الخلق ، ولكنهم لا يَعْرِفون الاعتذار والرجوع والتواضع والإصلاح . وصارت لُغَة الاعتذار معدومةً عند بعض الناس ، يَصَدِّهم عنه الكبر والتمادي ، وموت القلب ، وفساد الإحساس .

ليس العيب الوقوع في الخطأ والإساءة ؛ وإنما العيب والخطأ هو الاستمرار في الخطأ ، والتمادي في الباطل ، وعدم الاعتذار .

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) ^(١) .

والرجوع إلى الحقِّ والاعتراف بالخطأ من الإيمان وقوة الشخصية والثقة بالنفس ، وهو مِن أخلاق الملائكة الكرام ، وَمِن أخلاق الأنبياء والصالحين ..

ولنَنظُرْ إلى اعتراف الملائكة ورجوعهم للحق : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ

لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ٣٢ .

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩) ، وابن ماجه (٤٢٥١) ، وأحمد (١٣٠٤٩) وصحح إسناده

السيوطي وابن حجر .

الْحَيَاءُ صَمَامُ الْأَخْلَاقِ

"الحياءُ" خُلِقَ محمودٌ عظيمٌ، وخَيْرُهُ على صاحبه عَمِيمٌ، ومكاته في القرآن والسنة كبيرةٌ جداً.

وليس المقصود بالحياء "الخجل"، فبينهما فرقٌ وتغايرٌ، حيث (الخجل) مبعثه التردد والضعف، و(الحياء) مبعثه الخُلُق والأدب والإحسان والتعفف.

فهو خُلِقَ ووَصِفَ يحرس الأخلاق والقيم، ويحجز صاحبه عن القبائح والفحش والمعاصي والرذائل والظلم والاعتداء ..

وقد يتردع الحييُّ بالحياء مثل أو أكثر مما يتردع بالتقوى والإيمان، لذا كان الحياء من الإيمان.

وإذا هُدم (الحياء) فقد هُدم الحصن الذي يحجز الإنسان عن المعاصي والرذائل والأذى ..

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ

و"الحياء" من حياة القلب، فمن لا حياء له فهو سقيم القلب، وبالتالي يقع في القطيعة والحُمق والعقوق، ويُمسَخ عن أداء الأمانة والوعد والحقوق.

وعن النبي ﷺ قال: (الاستحياء من الله حَقُّ الحياء : أن تَحْفَظَ الرأسَ وما وَعَى ، وتَحْفَظَ البطنَ وما حَوَى ، وتَذَكُرَ الموتَ والبلى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدنْيَا) (١) .

ولما عَدَّدَ ﷺ شُعَبَ الإِيمَانِ خَصَّ (الحياءَ) بالتنبيه والاهتمام وقرَّنه بشهادة التوحيد ، فكأنه يَجْعَلُ الحياءَ رَكِيزَةً لَشُعَبِ الإِيمَانِ وعموداً لها ؛ فقال ﷺ: (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة ؛ فأعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان) (٢) .

ولَفَظَ البخاري: (الإيمان بضعٌ وستون شعبة والحياء من الإيمان) ، فجَعَلَ "الحياء" من الإيمان ، ونَفَى كمال الإيمان من قليل الحياء .

بل جَعَلَ الحياءَ سبباً لخيرات الدنيا والآخرة ؛ فقال ﷺ: (الحياءُ لا يأتي إلا بخير) (٣) .

وذلك ؛ لأن الحياء وقارٌ وسَكِينَةٌ وفضيلة ، وردَّعُ عن الطغيان والرديلة .

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) وأحمد (٣٦٧١) وحسنه الألباني بمجموع طرقه .

(٢) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٣) رواه البخاري (٦١١٧) ، ومسلم (٣٧) .

ويكفي أن (الحياء) من صفات الله عزّ وجلّ.

كما ثبت في الحديث الصحيح : أن الله - تعالى - حيٌّ كريمٌ سِتِيرٌ

يُحِبُّ الْحَيَاءَ ، ويستحيي من ذي الشبهة المسلم أن يعذبه ، ويستحيي من

عَبْدِهِ إِذَا دَعَاهُ وَرَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا ، ويستحيي ممن يستحي -

كما في صحيح البخاري - عن الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَزَاحِمِ فِي مَجْلِسِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ وَإِنَّمَا اسْتَحْيَا وَجَلَسَ خَلْفَهُمْ فَاسْتَحْيَا اللَّهَ مِنْهُ .

والحياء - أيضاً - من خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامَ .

ففي صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ كان في بيته مضطجعاً

كاشفاً ساقيه ، فدَخَلَ (أبو بكر ثم عمر) فَلَمْ يَهْتَشْ وَلَمْ يُبَالِ بِهِمَا ،

فلما دخل (عثمان) جلس رسول الله ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ

- رضي الله عنها - عن ذلك ؛ فقال ﷺ : (أَلَا اسْتَحْيَا مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي

مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (١) .

وهذا يدل على حياء (الملائكة) عليهم السلام ، وحياء (الرسول) ﷺ

وحياء (الصحابه) رضي الله عنهم .

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٤٠١) .

وباختصار ..

فالانسلاخ من الحياء انسلاخٌ من معاني الإنسانية، ومَنْ لا يستحي
يَصْنَعُ ما يشتهي؛ عياداً بالله، لذا قال ﷺ: (الحياءُ مِنَ الإِيْمَانِ؛
والإِيْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ؛ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) (١).

وقال الإمام الشافعي :

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

وللتنبية :

فإن من الحياء ما هو (مذموم)؛ وهو الخجل؛ كالحياء من العلم
والتعلم، والحياء في السؤال عن أمور الدين، والحياء من الحق، والحياء
من الإدلاء بشهادة الحق، والحياء عن أخذ الحقوق، والحياء في الأمور
المشروعة، وعمل الطاعة حياءً من الناس لا من الله، فهذا من المذموم
المحذور، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الأعراب: ٥٣.

(١) رواه ابن حبان (٦٠٨)، والترمذي (٢٠٠٩)، وأحمد (١٠٥١٩)، وصححه الألباني
في صحيح الجامع (٣١٩٩)، و"البذاء": هو القول والفعل القبيح الفاحش المسيء،
و"الجفاء": هو الجفوة والقطيعة والطرْد والإعراض والإيذاء بالبذاء.

حَيَاءُ الْعِفَّةِ

لا شك أن الحياء في الرجل جميلٌ فضيلٌ، وهو في المرأة أجمل وأفضل، ومن حياؤها حجابها.

وقد أثنى الله في القرآن على ابنة شبيب - عليه السلام - لتخلُّقها بالحياء ؛ فقال تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ القصص: ٢٥.

وقال تعالى : ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَّا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الأحزاب: ٣٣.

والخطابُ عامٌ لنساء النبي ﷺ وجميع نساء الأمة.

* * *

الْحَيَاءُ وَالْخَجَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَحْ (فِي الدُّنْيَا) فَسَيَعْتَرِيهِ الْحَيَاءُ وَالْخَجَلُ (فِي الْآخِرَةِ) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ؛ عَلَى مَا عَمَلَ وَاقْتَرَفَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالتَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.

وَرَوَى أَنْ رَجُلًا قَالَ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: (أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ) ^(١).

وَالْمُسْتَحْيُ - فِي تَعَامُلِهِ مَعَ اللَّهِ أَوْ مَعَ النَّاسِ - يَسْتَحْضِرُ ثَلَاثَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: (سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَعِلْمَهُ)، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَتَذَكَّرْ مِنَ اللَّهِ (سَمِعَهُ)، وَإِذَا عَمَلْتَ فَتَذَكَّرْ (بَصَرَهُ)، وَإِذَا سَكَتَ أَوْ فَكَّرْتَ فَتَذَكَّرْ (عِلْمَهُ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كَمَا قِيلَ :

يَا خَجَلَةَ الْعَبْدِ مِنْ إِحْسَانِ خَالِقِهِ وَقَدْ رَأَهُ عَلَى مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ
يَا نَفْسُ كَمْ زَلَّةٍ زَلَّتْ بِهَا قَدَمِي وَاخْجَلْتِي وَاحْيَائِي حِينَ الْقَاهُ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذِّيَابِيُّ :

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ؛ غَيْرُ خَالِ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ، وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

(١) رواه الطبراني (٢٧٢/٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٤١)، وهذا في

معنى "الإحسان" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.



(١) اجتهدتُ في تحريّ الثابت الصحيح، من الصحيحين أو أحدهما، وفي السنن مما صححه علماء الحديث وأئمة التخرّيج والتصحيح؛ كالألباني والعراقي والأرناؤوط وأحمد شاكر وغيرهم، أما الروايات الضعيفة فلم أذكرها ولم أعول عليها.

لماذا كان خلق رسول الله ﷺ عظيمًا

وَصَفَ اللهُ أَخْلَاقَ رَسُولِهِ بِالْعَظَمَةِ وَالْتِمَامِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [الْقَلَمُ ٤] ، أَي عَلَى دِينٍ قَوِيمٍ وَطَبَعٍ سَلِيمٍ وَسُلُوكٍ مُسْتَقِيمٍ .

وَكَانَ خُلُقُهُ ﷺ عَظِيمًا ؛ لِعِدَّةِ أُمُورٍ :

• **أولاً :** لَأَنَّهُ كَانَ عَلَى هَدْيٍ (الْقُرْآنِ) تَأْدُبًا وَتَخَلُّقًا وَأَتِمَارًا بِأَمْرِهِ وَإِنْتِهَاءً بِنَهْيِهِ وَعَمَلًا بِأَحْكَامِهِ ، وَوُقُوفًا عِنْدَ حُدُودِهِ ؛ فَصَارَ خُلُقُهُ ﷺ كَمِثَالِ تَطْبِيقِيٍّ عَمَلِيٍّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ ؟ فَقَالَتْ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) ^(١) .
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ) أَعْظَمَ مَنَاهِجِ الْهُدَى ، وَأَجَلَّ مَنَابِعِ الْأَخْلَاقِ ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ كَذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ - عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ - : "وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ بِأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ صَارَ سَجِيَّةً لَهُ ، وَخُلُقًا تَطَبَّعَهُ ، حَتَّى غَلَبَ طَبْعَهُ الْجَبَلِيُّ ، هَذَا مَعَ مَا جَبَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ وَكُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ "أهـ .

(١) رواه مسلم (٧٤٦)، وأحمد في المسند (٢٤٦٠١).

• **ثانياً:** لأنه ﷺ أفضل الخلق وأنقاهم ، ولأنه معصومٌ في أخلاقه وأحواله ، ولأن حياته وأعماله وأخلاقه كانت بعلم الله وحكمته واختياره ، وعلى عينه وسمعه وبصره - سبحانه - كما قال تعالى: ﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور: ٤٨.

ومدح الله لبيته ورفقه ؛ فقال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩.

ومدح رحمته ورافته ؛ فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

ومدح منهجه وعقله ؛ فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ النجم: ٢.

ومدح منطقته وكلامه وشرعه ؛ فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٤.

ومدح الله تواضعه الذي امتثله في قول ربه: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨.

وكُلُّ ذلك يدخل في الخلق العظيم.

• **ثالثًا:** مِنْ عَظْمَةِ أَخْلَاقِهِ ﷺ أَنهَا كَانَتْ أَخْلَاقًا شَامِلَةً مُتَكَامِلَةً

(مَعَ اللَّهِ تَعَالَى) بِالتَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.
و(مَعَ النَّاسِ) بِالتَّوَاضُعِ وَالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْعَفْوِ وَالكَرَمِ.
و(مَعَ أَهْلِهِ) بِالرَّحْمَةِ وَالرِّفْقِ وَالْوَفَاءِ وَالْخِدْمَةِ.
وحتى (مَعَ الْحَيَوَانَ) بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْإِحْسَانِ.
فَلذَلِكَ كَانَ خُلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَظِيمًا ؛ بَلْ هُوَ أَعْظَمُ خُلُقٍ
وَاسْتَحَقَّ إِشَادَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلِزُومِ الْإِتْبَاعِ ، فَلَا قُدُوةَ أَعْظَمَ
مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَهَدِيهِ ﷺ.

* * *

وجوب التأسي بأخلاق الرسول ﷺ

أوجب الله أتباع الرسول والافتداء بأخلاقه وأفعاله وأقواله ؛ فقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأعراف ٢١ ، أي : اقتدوا به وتأسوا بشمائله وأخلاقه وصبره وجهاده وثباته وجميع أحواله ؛ فهذا طريق المؤمنين الذين يَرجون الله ويذكرونه ويخافون اليوم الآخر ^(١) .

وقال : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف ١٥٨ ، والأمر للوجوب.

ما الأفعال والأُمور التي نقتدي بالرسول فيها؟

أما العادات والجلبة كالأكل والشرب واللباس ونحوها فيستحب ويتأكد الاقتداء به ﷺ فيها ، وأما العبادات والأُمور التعبدية والشرعية فيجب وجوباً اتباعه والافتداء به فيها.

وأما ما يخصه ﷺ من الأفعال والأحوال التي هي من خصائصه فلا يجوز اتباعه فيها ؛ لأنها مختصة به دون أمته ، كوصل الصيام والزيادة على أربع نسوة ، ووجوب قيام الليل في حقه ، ونحو ذلك.

(١) تفسير ابن كثير ٤١٦/٦ ، تحقيق د. السيد محمد السيد ، وتفسير الجزائري ٢٥٧/٤ .

نَسَبُهُ الشَّرِيفُ

النبي ﷺ نَسَبَهُ شَرِيفٌ كَرِيمٌ رَفِيعٌ خَالِصٌ عَالٍ فِي الْعَرَبِ ، وَهُوَ
مُصْطَفَىٌّ مِنْ مُصْطَفَىِّ ، وَخِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ .

فَهُوَ مِنْ (بَنِي هَاشِمٍ) وَبَنُو هَاشِمٍ (مِنْ قَرِيشٍ) وَقَرِيشٌ (مِنْ كِنَانَةَ)
وَكَنَانَةَ (مِنْ وَكَلَدِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ) عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ .

وُلِدَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفِيلِ "عَامَ ٥٧٠ م" يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .
سَمَّاهُ جَدُّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ (مُحَمَّدٌ) وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَبَقْ إِلَيْهِ ، فَهُوَ
مُحَمَّدٌ فِي السَّمَاءِ وَمُحَمَّدٌ فِي الْأَرْضِ .

وَكَنِيَّتُهُ (أَبُو الْقَاسِمِ) وَقَدْ حُرِّمَ التَّكْنِيُّ بِكَنِيَّتِهِ فِي حَيَاتِهِ إِكْرَامًا لَهُ ،
وَلَا بِأَسْ بِالتَّكْنِيِّ بِكَنِيَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ .

وَهُوَ : (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ
قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
بِالنَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ
مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ) .

هَذَا الْمَتْفَقُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ - ضَبْطًا وَشَكْلًا - وَاخْتَلَفُوا فِيمَا بَعْدَهُ

وأُمُّه: (آمنة بنت وهب بن عبد مناف) فأبوه وأمه يلتقيان في "عبد مناف"، ولذلك كان شريف النسب من كِلا والديه.
مات أبوه وهو حَمَلٌ في بطن أُمِّه.
وماتت أُمُّه وعمره ٦ سنوات.
ومات جدُّه عبد المطلب وعمره ٨ سنوات.
وقد دفعته أُمُّه لمرضعته (حليمة السعدية) في بادية بني سعد؛ حيث نقاء اللغة والهواء ..

وقال ﷺ: (أنا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أُمِّي ؛ التي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ)^(١) .

وتولي رعايته وعنايته عمّه (أبوطالب) ولم يفارقه حتى في أسفاره للشام، وحتى بعد البعثة كان يؤيده ويحميه من قريش؛ وعَصَمَ اللهُ به

(١) رواه ابن حبان (٦٤٠٤)، وأحمد (١٧٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع

(١٤٦٣)، وقصد بدعوة إبراهيم ما جاء في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ البقرة: ١٢٩، وببشرى عيسى ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصف: ٦.

رسوله من الناس ، ولكن لم يهده الله للإسلام ، ومن شعره أنه كان يقول للرسول ﷺ :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فأصدع بأمرِكَ ما عليك غضاضة
دعوتني وإنك فينا لناصح
وأتيت بدلين قد علمت بأنه
لولا الملامة أو حذاري مسبة
حتى أوسد في التراب دينا
وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
من خير أديان البرية دينا
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وفي عمه أبي طالب نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ القصص: ٥٦ ، وقوله تعال: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ

وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٦ ، أي أبو طالب ؛ ينهي المشركين أن يؤذوا

الرسول ، ويبتعد هو عن دعوته.

نسأل الله العفو والعافية والهداية والثبات حتى الممات.

مُعْجَزَاتِهِ ﷺ وَدَلَائِلُ نُبُوَّتِهِ

مُعْجَزَاتِهِ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ ، فَقَدْ أَيْدَهُ اللَّهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ، وَيُبْرِهِنُ لِلشَّاكِّينَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ..

فَمِنْ أَعْظَمِ مَعْجَزَاتِهِ : (القرآن الكريم) الذي هو معجزته العظيمة البليغة الكاملة الشافية الظاهرة الباهرة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وَمِنْ مَعْجَزَاتِهِ : الإسراء والمعراج ؛ بجسده ورُوحه حقيقةً في اليقظة ؛ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ ، وَعَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ .

وَمِنْهَا انفلاق القمر مرّتان أمام قريش لما سألوه آية ، **وَمِنْهَا** كثرة الخير والبركة وتكثير الطعام ببركته ، **وَمِنْهَا** نبع الماء من أصابعه ، **وَمِنْهَا** حنين الجذع الذي كان يخطب عليه لما تركه ، **وَمِنْهَا** أنه خاطبه الشجر ، **وَسَلَّمَ** عليه الحجر ، **وَتَكَلَّمَ** معه الحيوان في أكثر من موقف ومناسبة .. **وَمِنْهَا** أنه مُجَابِ الدُّعْوَةِ ؛ كدُعائه (لأنس) بكثرة المال والولد ، **وَدُعَائِهِ** (لابن عباس) بالتأويل والفقّه في الدّين ، **وَدُعَائِهِ** عَلَى (مُسْتَكْبِرٍ) لَا يَأْكُلُ بِيَمِينِهِ إِلَّا يَسْتَطِيعُ .. ، فَوَقَّعَتْ دَعْوَاتِهِ كُلَّهَا كَمَا دَعَا .

ومنها إطلاعه على بعض أمور الغيب؛ كإخباره بسقوط فارس، وهزيمة الروم، وانتصار المسلمين في بدر، وإخباره عن أويس القرني، وعن الكذابين المدّعين للنبوّة، وعن بعض المنافقين.. (١)

قال (يحيى الصرصري) في معجزات النبي ﷺ: (٢)

محمّد المبعوث للناس رحمةً يَشِيدُ ما أوهى الضلالُ ويُصْلِحُ
لئن سبّحت صمّ الجبالِ مُجِيبَةً لداودَ أو لأنّ الحديدُ المُصَفِّحُ
فإنّ الصخورَ الصمّ لانت بكفه وإنّ الحَصا بكفه يُسَبِّحُ
وإن كان موسى أنبع الماءَ بالعصى فالماء من كفّ محمدٍ يطفحُ
وإن كانت الرياحُ الرِّخاءَ مُطِيعَةً سُليمانَ لا تألوا تروحُ وتسرّحُ
فإنّ الصّبا كانت لنصرِ نبيّنا ورُعبٌ على شهرٍ به الخِصمُ يكَلِّحُ
وإنه للجناتِ أولُ داخلٍ له بابها قبلَ الخلائقِ يفتَحُ

(١) هذه خلاصة دلائل النبوّة لليبهي، ودلائل النبوّة للأصبهاني، وخصائص الرسول

لابن الملقن، وغيرها..، ومن أراد التوسع والشرح والأدلة فعليه بتلك المراجع.

(٢) البداية والنهاية ٤١١/٩، و"يحيى الصرصري" شيخٌ حافظٌ لغويٌّ شاعرٌ، قتله التتار

ببغداد سنة ٦٥٦هـ رحمه الله رحمةً واسعة.

خصائصه التي اختصه الله بها

منها : نصره برعب أعدائه منه مسيرة شهر ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، وأجلت له الغنائم ، وتحريم الصدقة والزكاة عليه وعلى أهل بيته ، وأنه بعث عامّة إلى كافة الجن والإنس ، وأنه رحمة للعالمين ، وأنه أوتي جوامع الكلم وموجز القول ، ووجوب قيام الليل عليه ، وشقت الملائكة صدره قبل البعثة وطهره بماء زمزم ، وأنه معصومٌ من الذنوب والدنايا قبل وبعد النبوة ، وأنه يرى من خلف ظهره كما يرى من أمامه ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وإسلام قرينه الجنّي وهدايته ، وأن الشيطان لا يتمثل به فمن رآه في المنام فقد رآه حقاً.

ومنها : أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض وجعلت في يده لكنه أباهاً ورفضها زهداً وورعاً وتقللاً من الدنيا واستصغاراً لها وإجلالاً لما أعطاه الله من مرتبه النبوة وشرف العبودية لله.

ومنها : أنه ما أوتي الرسل والأنبياء من خصائصٍ أو بلاءٍ إلا له ﷺ ما يُعادل أو يُماثل ذلك ؛ فقد ناله من قريش أكثر مما نال (نوحاً) من قومه ، وتخاطب مع الحجر والشجر والحيوان مثلما تخاطب (سليمان) مع الطير والنمل والجن ، وهكذا..

ومنها: بقاء واستمرار معجزاته على مرّ الزمان ، فمُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ مُؤَقَّتَةٌ بِزَمَانِهَا ، أما معجزته ﷺ - وهو القرآن - فإنه باقٍ إلى أن يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، ثم يَرْفَعُهُ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ .
ومن خصائصه ﷺ : جَمَالُ الْهَيْئَةِ وَهَيْبَةُ الطَّلَعَةِ ، وَصِدْقُ الْمُحْيَا ؛
يَعْرِفُ نَبَوَّتَهُ وَصِدْقَهُ وَوَفَاءَهُ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ أَوْ جَالَسَهُ ..

وكما قيل :

دَلَائِلُ الصِّدْقِ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ كَحَامِلِ الْمَسْكِ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَبْقِ

وقال حسان بن ثابت - رضي الله عنه - :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبينةٌ كانت بديهته تُنبئُ بالخبرِ

وقال كعب بن زهير - رضي الله عنه - :

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به مُهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولٌ

بل إن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - لما قدِمَ المدينة ورأى

وجَهَ النبي ﷺ قال : (عَرَفْتُ أَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ) ثم ترك

اليهودية وأسلم^(١).

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وصححه الألباني.

(أَخْلَقَ الْعَظِيمَ)

ومن خصائصه ﷺ: أنه خاتم الرُّسل وأفضلهم ، فلا نبيَّ بعده ، ولا أفضل منه ، فهو أكرم الخلق وأشرفهم ، وسيرته ورسالته أشرف رسالة وآخر رسالة.

ومنها: أنه أول مَنْ تَنَشَقَّ عنه الأرض يوم القيامة ، وحامل اللواء يوم العَرَض ، وأول مَنْ تُفْتَحُ له أبواب الجنة.

ومنها: أن الله أعطاه (المَقَامَ المحمود) وهو الشفاعة العُظمَى للخلائق يوم القيامة.

ومنها: أن الله أعطاه (الوسيلة) وهي أعلى درجات الجنة ؛ فلا تكون إلا له ﷺ.

ومنها: تعدد أسمائه ﷺ ؛ لشرفه وفضله ومكانته..

فهو "محمد ، وأحمد" - بنص القرآن الكريم - وهو "الماحي - يمحو الشرك والجاهلية - والحاشر - يُحشِرُ الناس على أثره - والعاقب - الذي تَعَقَّبُ الأنبياء فلا نبيَّ بعده ، لقوله ﷺ: (أنا محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب) ^(١).

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، أما "طه ويس" فليسا من أسمائه ﷺ كما اشتهر عند العامة ، ولم يصح ذلك ، ولم يقل به أحدٌ من أهل العلم.

ومن خصائصه ﷺ: أن أمته آخر الأمم ، وأفضل الأمم وأولها حساباً يوم القيامة ، وأقلها عملاً ، وأكثرها بركة وثواباً. وأن أمته خير الأمم ، وخيريتهم هي: بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأن أمته لا تجتمع على ضلالة ، وهم الآخرون السابقون ؛ أي: آخر الأمم في الدنيا وأولهم يوم القيامة. وأن أمته محفوظة من الاستئصال في الدنيا ومن الهلاك بسنة عامة ولا يتسلط عليهم عدو من سواهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، وإنما يهلك بعضهم بعضاً، قال ﷺ: (وسألت الله أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) (١).

وفي الصحيحين : أن أمته يأتون - يوم القيامة - غراً مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوَضوءِ ، ويكونون شهداء على الناس ، وهم أول الناس حساباً، وأول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة، وهم أكثر أهل الجنة، ولهم الثواب الكثير الجزيل على العمل القليل ؛ فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٩٠).

أَمَّا حُقُوقُهُ عَلَيْنَا

فَمِنْهَا: وجوب الإيمان به ، وتوقيره ، ومحبته ، ومحبة آل بيته وتصديقه ، وطاعته ، واتباعه والتأسي بهديه ، ونصرته ، ونشر سنته ، وكثرة الصلاة والسلام عليه ، ووصفه بالنبوة والرسالة والعبودية ؛ بلا غلو ولا إطرأء ، وهذه هي النصيحة له ﷺ ؛ كما في حديث النصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ؛ وهو في صحيح مسلم والسنن.

ومن حقوقه: تعلم أخلاقه وشمائله وسيرته .. ؛ لا تباغاه والتأسي به فيها واقتفاء أثره عليها ، والتخلق بما كان عليه من عظيم الخلق وجميل الصفات.



صِفَاتِهِ الْجَسَدِيَّة

أما صفاته الجسدية ^(١) :

فكان مَنْ رآه أو وَصَفَه يقول أَحْسَنَ مِنَ الْقَمَرِ ، مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ هَابَهُ
وَمَنْ جالسه أحبه.

وكان ﷺ جميل الثغر ، طيب الرائحة ، يُعجبه الطيب ، وكان
وسطاً بين الطويل والقصير ، ووسطاً بين الأبيض والأسمر ؛ لكنه
واضح البياض ، مستوي البطن والصدر.

وكان ﷺ مربوعاً ، مُعتدِلُ الجِسم والأعضاء ، وغلِظ الأصابع
والكفّين والقدمين ، بعيداً ما بين المنكبين.

وشعره وسطٌ بين المُسترسِل والجعد ، وجُمّة شعره إلى نصف
أذنيه ، يدهنه ويفرقه ، كثير شعر اللحية ، في رأسه ولحيته بضع عشرة
شبية ، يُخضّبها - أحياناً - بالحناء والكتم ، ولمّا سُئل عنه قال :
(شيبتني هودٌ وأخواتها) ^(٢) ، وهذا من تدبّره ﷺ للقرآن وتأثره به.

(١) يتقدم الحديث على الصفات الجسدية والجسمية - مع أن الأخلاق الباطنة أهم - لأن
الصفات الظاهرة أول ما يظهر للرائي ، ولأن الظاهر يدل على الباطن.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٧) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

خَاتَمُهُ وَأَدْوَاتُهُ

أما (خَاتَمُهُ) الذي يَخْتَمُ به : فقد اتخذهُ من فضّه ، وَيَلْبَسُهُ في يمينه ، وَيَجْعَلُ فُصَّهُ مما يلي كَفِّهِ ، نَقَشَ عليه (محمد رسول الله) كُلُّ كلمةٍ في سَطْرٍ.

وله (سيفٌ) مفضّضٌ ، و(درعٌ) يرتديه ، و(مِغْفَرٌ) من حديد يلبسه على رأسه في المعارك ، وله (قَدَحٌ) من خَشَبٍ غليظٍ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّيًّا ؛ لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ ، ولكن الله عَلَّمَهُ ما لَمْ يَكُن يَعْلَمُ ، وله (كَتَبَةٌ) يَكْتُبُونَ الوحي والرسائل ؛ منهم : عثمان ، وعلي ، وزيد ، وأبيّ ، ومعاوية - رضى الله عنهم - وكانت رسائله تَبْدَأُ بالبسملة ثم : من محمدٍ رسول الله إلى فلان.. ، وتُخْتَمُ بالختم والتاريخ.

أما خاتم النبوة :

فإن بَيْنَ كتفيه (خاتم النبوة) كبيضة الحمامة بارزًا حَوْلَهُ شَعْرَاتٌ ^(١).

(١) رواه البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥)، وفي الصحيحين أيضًا أن خاتم النبوة بين كتفيه مثل "زِرِّ الحَجَلَةِ" وهي طائرٌ دون الدجاجة ؛ والزِّرُّ البيض (فتح الباري ١/٤٠٣).

صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةُ وَمَجَالِسُهُ وَمُجَالِسَتُهُ

كَانَ سَرِيعَ الْمَشْيِ ، إِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا ، وَإِذَا تَكَلَّمَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا ، وَإِذَا جَلَسَ يَحْتَبِي - يَضْمُّ سَاقِيهِ عَلَى صَدْرِهِ بِيَدَيْهِ - أَوْ يَتَكَيَّ عَلَى وَسَادَةٍ عَلَى يَسَارِهِ ، إِلَّا فِي الْأَكْلِ لَا يَأْكُلُ مَتَكْنًا .
وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَأَمَانَةٍ ، لَا غَيْبَةَ فِيهِ وَلَا أَصْوَاتٍ ، وَلَكِنْ هَدُوًّا وَوَقَارًا .

كَلَامُهُ وَصَمْتُهُ وَفَصَاحَتُهُ

وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ؛ وَيُفَصِّلُ كَلَامَهُ ، فَصِيحَ الْقَوْلِ ، قَوِيًّا الْبَلَاغَةَ ، دَائِمَ الذِّكْرِ ، قَلِيلَ الضَّحْكَ كَثِيرَ التَّبَسُّمِ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا ، وَيَمَازِحُ جَلْسَاؤُهُ ، وَيَتَمَثَّلُ الشُّعْرَ وَيَسْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ جُلْسَائِهِ ، وَإِذَا تَنَاشَدُوا الشُّعْرَ اسْتَمَعَ لَهُمْ ، وَتَبَسَّمَ مَعَهُمْ ، وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ كَانَ يَسْتَمِعُ لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ يَنْشِدُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
فِيُجِيبُهُمْ :

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ

كَمَالُ عَقْلِهِ وَذِكَاؤُهُ وَتَفَاؤُلُهُ

جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ كَمَالِ الْعَقْلِ ، وَسُرْعَةِ الْبَدِيهَةِ ، وَالْفِطْنَةِ وَالذِّكَاؤِ
وَكَانَ لَا يَصَافِحُ النِّسَاءَ وَلَمْ تَلْمَسْ يَدَهُ يَدُ امْرَأَةٍ ؛ لَا فِي بَيْعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا
وَكَانَ أَبْغَضَ شَيْءٍ إِلَيْهِ الْكُذْبَ ، وَيُحِبُّ الْفَأْلَ وَالتَّفَاؤُلَ ، وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ
الْحَسَنَ وَالشَّيْءَ الْحَسَنَ .

نَوْمُهُ وَفِرَاشُهُ

كَانَ إِذَا أَوَى لِمَضْجَعِهِ سَمَّى بِاسْمِ اللهِ ، ثُمَّ يَنَامُ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ،
وَيَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ، وَيَقُولُ : (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ
وَأَحْيَا) ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا
وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(١) ، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَيَنْفِثُ فِي يَدِهِ
وَيَمْسَحُ رَأْسَهُ بِجَسَدِهِ ؛ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، ثُمَّ يَذْكُرُ أَوْرَادَ النُّوْمِ .
وَكَانَ (فِرَاشُهُ) جِلْدًا مَحْشُورًا صُوفًا ، وَنَامَ عَلَى الْحَصِيرِ حَتَّى أَثَرَ
فِي جَنْبِهِ ، وَعَنْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سُودَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (مَاتَتْ لَنَا
شَاةٌ فَذَبَغْنَا جِلْدَهَا ؛ فَمَا زَلْنَا بِهِ حَتَّى بَلِيَ) ^(٢) .

(١) رواه البخاري (٦٣١٢) ، ومسلم (٢٧١١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٦٨٦) .

أَكْلُهُ وَطَعَامُهُ

كان يُسَمُّ بِاسْمِ اللَّهِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَيُحْمَدُ اللَّهُ بَعْدَهُ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَلَا يَأْكُلُ مَتَكُنًا، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا بِالْيَمِينِ، وَكَانَ يَأْكُلُ بَثْلَاثِ أَصَابِعَ ثُمَّ يَلْعَقُهَا، وَرَأَى غَلَامًا تَطِيْشُ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ فَقَالَ لَهُ: (سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ) ^(١).

وَكَانَ ﷺ يَأْتِدُمُ بِالزَّيْتِ وَالخَلِّ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ مِنَ الشَّاهِ الذَّرَاعَ - وَهُوَ الَّذِي سَمَّته فِيهِ الْيَهُودُ بِالسُّمِّ - وَكَانَ يُعْجِبُهُ (الثُّفْلُ) - وَهُوَ مَا بَقِيَ مِنَ الطَّعَامِ ..

وَشَرِبَ وَاقِفًا وَجَالِسًا، وَإِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ ثَلَاثًا خَارِجَ الْإِنَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ.

وَمَا شَبِعَ مِنْ شَعِيرٍ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يَجِدُ: الدَّقْلَ؛ وَهُوَ رَدِيءُ التَّمْرِ.

وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ، وَكَانَ يَمُرُّ بِهِ الشَّهْرَ كَامِلًا لَا يَجِدُ غَيْرَ التَّمْرِ وَالْمَاءِ.

(١) رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(أَخْلَقَ الْعَظِيمَ)

وما عاب طعاماً قط، إذا اشتهاه أكله، وإلا تَرَكَه ، وقُدِّم له لحم (ضَبٌّ) فَكَفَّ يده ولم يَعْبَهُ ولم يَمْنَعه ، وقال : (هَذَا لَحْمٌ لَمْ أَكُلْ مِنْهُ قَطُّ) وأكل منه أصحابه ^(١) .

وأكل مع أحد أصحابه "رُطْبًا وماءً بارداً" ثم قال : (هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ظِلُّ بَارِدٍ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَرُطْبٌ بَارِدٌ) ^(٢) .

صِدْقُهُ وَأَمَانَتُهُ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَادِقًا أَمِينًا وَفِيًّا ، حَتَّى عُرِفَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ ، صَادِقٌ فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الْكُذْبِ وَمِنَ الْخِيَانَةِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ) ^(٣) .

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٩٤٨).

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٣٦٩)، وابن حبان (٥٢١٦)، وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه ابن حبان (١٩٤)، وأحمد (١٢٥٦٧)، وصححه في صحيح الجامع (٩٦٨٥).

لباسه وظهره

وكان يُحِبُّ التِيَامُنَ والبدء باليمين في طهوره ولبسه وتنعله وفي كلِّ شيءٍ.

يُفَضِّلُ من اللباس القميص الساتر للبدن ، وإذا استجدَّ لباساً حَمِدَ اللهَ وسألَ اللهَ مِنْ خَيْرِهِ ، وَيَلْبَسُ البياضَ ، وله حُلَّةٌ حمراءُ ، وعمامة سوداء يُسَدِّلُ طرفيها من بين كتفيه.

وكان لا يَتْرِكُ التَنَعُّلَ ، وَيَنْهَى عن تنعلِ قدمٍ واحدةٍ ، وأُهدِيَ له خُفَّانِ أسودانِ فيلبسهما وَيَمْسَحُ عليهما عند الوضوءِ إذا لبسهما على طهارة.

وكان لا يَتْرِكُ الطهارة ولا النظافة ولا السواك ولا الطيبَ ، واحتجم مرات في رأسه وأعلى ظهره.

وكان ﷺ لا يُسَبِّلُ إِزَارَهُ ولكن يجعله من نصف ساقه إلى فوق كعبيه ، وقال لحذيفة : (فَإِنْ أْبَيْتَ فَلَاحَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ) ^(١).

(١) رواه الترمذي (١٧٨٣)، والنسائي (٩٦٨٧)، وأحمد (٢٣٣٧٨)، وابن حبان

(٥٤٤٨)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

وفي الصحيحين عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا، إِزْرَةً الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَعْبِيَّهِ، وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ) ^(١).

ويقصد به الرِّجَالُ.

أما (المرأة) ففُتُخِي ثَوْبُهَا تَحْتَ كَعْبِيَّهَا حَتَّى يَسْتُرَ قَدَمَيْهَا، وَكُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ سِتْرًا وَحَيَاءً وَاحْتِشَامًا كَانَتْ أَقْرَبَ لِلْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الرَّشِيدِ.



(١) رواه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥)، ورواه أحمد وأصحاب السنن.

عِبَادَتُهُ وَصَلَاتُهُ وَخُشُوعُهُ

كان عبداً خاشعاً راجياً خائفاً ، مُكثراً من التَّعَبُّدِ والذِّكْرِ والاستغفار والتنفل والقيام والصيام ، وإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وصلة الأرحام.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سَمِعَ الأَذَانَ للصلاة وَثَبَ ، وكان يُكثِرُ من قيام الليل ويقوم حتى تنفطر قدماه ؛ ويقول: (أَفْلا أَكُونُ عَبْداً شَكُورا) ^(١) ، ويصلي كُلَّ لَيْلٍ إحدى عشرة ركعة ويوتر ، وإذا نام أو شُغِلَ عنها صلاها في النهار شَفْعاً.

وإذا تعب من الوقوف والقيام جلس ؛ فإذا بقي قرابة ثلاثين آية قام فقرأها واقفاً ثم رَكَعَ ؛ كما في الصحيحين عن عائشة رضی اللهُ عنها.

ولما مَرَضَ كان أكثر صلواته جالساً ، ويكثر الصلاة النافلة في البيت. وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يترك (الوتر) ولا (راتبه الفجر) في حَضْرٍ ولا سَفَرٍ ، ويعتني (بالسنة الراتبة) ، و(صلاة الضحى) يصلها أربعاً أو ستاً.

(١) رواه البخاري (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩) ، وفي رواية البخاري : حتى تورمت قدماه.

وكان ﷺ يَخْشَعُ فِي صَلَاتِهِ خَشَوْعًا عَظِيمًا ، وَيَطْمَئِنُّ فِيهَا وَفِي أَرْكَانِهَا ، وَيُسَبِّحُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ، وَيُكْثِرُ مِنْ جَوَامِعِ الدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ ، لِأَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ .

بَلْ رَأَى ﷺ رَجُلًا يَسْتَعْجِلُ صَلَاتَهُ وَيُخَفِّفُهَا ، وَيُسِيءُ أَدَاءَهَا ، وَلَا يَطْمَئِنُّ وَلَا يَتَأَنُّ وَلَا يَخْشَعُ فِيهَا ؛ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَقَالَ : (ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) ثُمَّ عَلَّمَهُ الْقِيَامَ وَالرَّفْعَ وَالِاطْمِئْنَانَ وَالْخُشُوعَ ^(١) .

وَلَمَحَ ﷺ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ؛ فَقَالَ : (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ) ، وَفِي رِوَايَةٍ : (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ مَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ ...) ^(٢) .

وكان ﷺ يصلي الصلوات الخمس في أول وقتها ، ولا يؤخرها عن وقتها لغير عُذر ، وفي السَّفَرِ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ وَالْعِشَاءَيْنِ تَقْدِيمًا أَوْ تَأْخِيرًا ، وَيَجْهَرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالدُّكْرِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ .
ثُمَّ يَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ، ثُمَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ ؛ وَيُكْرِّرُهَا ثَلَاثًا ثَلَاثًا بَعْدَ الْمَغْرَبِ وَالْفَجْرِ .

(١) رواه البخاري (٦٢٥١) ، ومسلم (٣٩٧) .

(٢) رواه أحمد (١٦٢٩٧) ، وابن ماجه (٩٠١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

صِيَامُهُ وَعَمَلُهُ الصَّالِح

وكان يصوم الاثنين والخميس من كلِّ أسبوع ، والأيام الثلاثة البيض من كلِّ شهر، ويوم عاشوراء - مع يوم قبله أو بعده - مخالفةً لليهود.

ولا يترك صيام تسع ذي الحجة وكثرة الطاعة والذكر والتكبير فيها، ويكثر العمل الصالح ويحث عليه ؛ ويقول : (اكفوا من الأعمال ما تُطيقون ، فالله لا يملّ حتى تملّوا ، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ) ^(١).

ولما تمنى أناس أن يتصدقوا - وليس بأيديهم أموالاً - قال ﷺ لهم : (أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به ؟ كلُّ تسيحةٍ صدقة ، وكلُّ تحميدةٍ صدقة ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقة ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقة ، وأمرٌ بمعروفٍ صدقة ، ونهيٌّ عن منكرٍ صدقة) ^(٢).

(١) رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٨٣٨)، وصحح الأرنؤوط إسناده على شرط مسلم.

أَذْكَارُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ

كان يستغفر في اليوم مائة مرّة أو أكثر، وكان أخشى الناس لله، وإذا صَلَّى أو قرأ سُمِعَ لصدّره أزيزاً من البكاء، وكان يُكثر الدعاء، وأكثر دعائه: (يا مُقَلَّبَ القلوب ثبّت قلبي على دينك، يا مُصَرِّفَ القلوب صرّف قلبي على طاعتك) (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

ويختم مجلسه دائماً بالدعاء: (سبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) متفقاً عليه.

وكان كثير التسيب والتهليل والتكبير، ولا يترك أذكار النوم، ولا أذكار الصباح والمساء، ويذكر الله ويحمده ويشكره عند كلّ حال.

ويحثنا ﷺ على كثرة التوبة والاستغفار ومحاسبة النفس؛ فيقول:

(والله إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة) ^(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٣٠٧).

قراءته للقرآن

كانت قراءته للقرآن مُفسِّرةً حَرفاً حَرفاً، يَمدّها مَدّاً، ويُرتّلها ويُحَبِّرها ، وكان يَجهرُ بها ويُسرّ، ويُجب أن يَسْمَعَ القرآنَ مِن غيرِه، وَيَبكي أحياناً عند تلاوة أو سماع القرآن ؛ كما في الصحيحين : عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لي النبي ﷺ : (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ) فقلتُ : أقرأ عليكَ وعليكَ أنزلَ؟! قال ﷺ : (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)، قال : فقرأتُ عليه سورة النساءِ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾؛ قال ﷺ : (حَسْبُكَ الْآنَ)، قال ابن مسعود: فالتفتُ إليه ﷺ فإذا عيناهُ تَدْرِفانُ^(١).

وكان ﷺ يُرتّل القرآنَ ترتيباً؛ ليتدبَّره ويتأمَّل معانيه وأحكامه؛ كما قالت أمُّ المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - أنه ﷺ (كان يقرأ بالسُّورة فيُرتّلها حتى تكون أطولَ مِن أطولِ منها)^(٢).

(١) رواه البخاري(٥٠٥٠)، ومسلم(١٨٦٧)، و"تدْرِفانُ": أي بالدمع من خشية الله تأثراً بالقرآن ومواعظه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٧٣٣).

تَوَاضَعَهُ وَلِينُ جَانِبِهِ وَعَفْوُهُ

كان غايةً في التواضع ، نام على الحصير ، وركب الحمار ، ورعى الغنم ، وأكل خُبز الشعير ، ولبس القטיפه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويكره القيام له ، ويكره التميز عن جلسائه ، ويُقبل بوجهه على المتكلم ، ويُسلم على الصبيان .

ولمَّا ارتعدَ رجلٌ من هَيْبَتِهِ ﷺ قال : (هَوْنٌ عَلَيْكَ ؛ فَلَسْتُ بِمَلِكٍ

إنما أنا ابن امرأةٍ من قريش كانت تأكل القديد) (١) .

وكان يعفو عن ظلمه ، ويُعطي من حرمه ، ويصل من قطعته ،

ويتواضع للفقراء والمساكين ..

وهو القائل ﷺ : (ما نقصت صدقةً من مال ، وما زاد الله عبداً

بعضاً إلا عزاً ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله) (٢) .

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٢) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ؛ وفي صحيح الجامع

(٧٠٥٢) ، و"القديد" : هو اللحم الذي يُقطع ويملح ويجفف في الشمس والهواء .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨) ، وابن حبان (٣٢٤٨) ، وأحمد (٩٠٠٨) .

قناعته وزهده في الدنيا

وكان صلى الله عليه وسلم قنوعاً زاهداً في الدنيا وفيما في أيدي الناس ، ويوماً نام على حصيرٍ فأثر في جنبه ، فقال له عمر : لو اتخذت فراشاً أو ثراً وأوطأ ، فقال صلى الله عليه وسلم : (مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم تركها ورحل) ^(١) .

وأخذ صلى الله عليه وسلم بمنكب عبد الله بن عمر وقال له : (كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل ، وعد نفسك في أهل القبور) ، فكان عبدُ الله يقول : "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك" ^(٢) .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) ^(٣) .

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٧) ، وابن ماجة (٤١٠٩) ، وأحمد (٣٧٠٩) ، وصححه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦) ، والترمذي (٢٣٣٣) ، وابن ماجة (٤١١٤) ، وأحمد (٤٧٦٤) .

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) ، وقوتاً : أي كفاً قليلاً لا يزيد عن الحاجة .

رَقْمَهُ وَرَحْمَتَهُ

وكان ﷺ رَفِيقًا، رَحِيمًا بِالْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ
وَالضَّعَافِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَرْضَى وَالْمَصَابِينَ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ فَقَالَ:
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكَمَا وَصَفَتْهُ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَتْ: (إِنَّكَ لَتَصِلُ
الرَّحْمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ،
وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (١).

وكان رَحِيمًا خَلُوقًا مَعَ أَهْلِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَأَقْرَبَائِهِ، وَيَكُونُ
فِي عَوْنِ أَهْلِهِ وَزَوْجَاتِهِ؛ وَيَقُولُ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا
خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (٢).

وَمِنْ رَحْمَتِهِ: أَنَّهُ يَرْحَمُ الصَّغَارَ وَيَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَدَاعِبُهُمْ وَيَضَعُهُمْ
فِي حِجْرِهِ، وَكَانَ يُحَنِّكُ الْمَوْلِيدَ وَيَدْعُو لَهُمْ، وَلَمَّا أَتَتْهُ حَفِيدَتُهُ - ابْنَةُ
ابْنَتِهِ زَيْنَبَ - وَهُوَ يُصَلِّي؛ حَمَلَهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا.

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبان (٤١٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥).

وفي الصحيحين: أن الأقرع بن حابس - رضي الله عنه - رأى الرسول ﷺ يُقَبَّلُ "الحَسَنَ"، فقال: إن لي عَشْرَةَ أَبْنَاءَ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ؛ فقال ﷺ: (مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمُ) (١).

وفي الصحيحين أيضاً: عن أنس - رضي الله عنه - قال: (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَشْرَ سِنِينَ؛ فَمَا قَالَ لِي أُفُّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لشيءٍ صَنَعْتُهُ لَمْ صَنَعْتُهُ، وَلَا شيءٍ لَمْ أَصْنَعُهُ لَمْ لَمْ تَصْنَعُهُ) (٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُنْفَحِشًا وَلَا لِعَانًا وَلَا سَبَابًا، وَلَمْ يَضْرِبْ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً قَطُّ) (٣).



(١) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٩١١)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٦)، ومسلم (٢٣٢١).

كِرْمَهُ وَحَيَاؤَهُ

كان ﷺ كريماً جواداً سخياً معطاءً، يبذل المال، ويتصدق على الفقراء، وكان يذهب بالتمر لفقراء الصُّفَّة ويُطعمهم ويُجالسهم ويؤانسهم، وفي الصحيحين : أنه كان أجود من الريح المرسلّة؛ خاصة في رمضان.

أما حياؤه : فكان حَيِّياً ، شديد الحياء، والحياء : انقباضٌ في النفس عن الرذائل والمعاصي وأذية الآخرين ، وفي الصحيحين : أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه الشريف.

فُيعرَف في وجهه ما لا يتكلم به ؛ لحيائه وكرم نفسه ﷺ.

وحياؤه ﷺ : ليس الحياء المنبعث من الخجل ، ولكنه الحياء الفطريّ المنبعث من تعظيم الله وخشيته ومعاملة الناس بالحسنى وكفّ الأذى عنهم ، تأليفاً لقلوبهم وطلباً لما عند الله من ثواب الإحسان إليهم.

حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ

وكان ﷺ حليماً صبوراً ، ولا يَغضب لنفسه ؛ ولا يقابل الإساءة بإساءةٍ ؛ ولكن يقابل الإساءة بالإحسان.

وكان لا ينتصر لنفسه ، إنما ينتصر للحقّ والصواب والدين .
وما خيّر بين أمرين الا اختار أيسرهما ؛ ما لم يكن إثماً ، وقال ﷺ :
(إن الله لم يبعثني مُعَنِّتاً ولا مُتَعَنِّتاً ، وإنما بعثني مُعَلِّماً مُيسِّراً) (١) .

وفي الصحيحين : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ فجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، وقال يا محمد : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ (٢) .

فَلنَنْظُرُ لَصَبْرِهِ عَلَى أَذَى الْأَعْرَابِيِّ ، وَحِلْمِهِ مَعَهُ ، وَعَفْوِهِ عَنْهُ وَلَمْ يِعَاتِبْهُ عَلَى جَفَائِهِ ، إِضَافَةً إِلَى صَبْرِهِ عَلَى شِظْفِ الْعَيْشِ وَخَشُونَةِ الْبُرْدَةِ الَّتِي كَانَ يَرْتَدِيهَا ﷺ .

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٧٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٨٨) ، ومسلم (١٠٥٧) .

دَعْوَتُهُ وَحِكْمَتُهُ وَعَدْلُهُ

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكِيمًا فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا وَفِي دَعْوَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. **وَمِنْ ذَلِكَ:** أَنَّهُ كَانَ يُخَوِّلُ الْمَوْعِظَةَ ، وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ ، وَيَجْتَنِبُ الْجَرَحَ وَالتَّشْهِيرَ ، وَإِذَا بَلَغَهُ شَيْءٌ عَنْ قَوْمٍ أَوْ كَرِهَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَنْصَحُ وَلَا يَفْضَحُ ، وَيَدُلُّ وَلَا يَجْرَحُ ، وَيُعَمِّمُ وَلَا يُخَصِّصُ ، وَيَقُولُ: (مَا بِالْأَقْوَامِ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا) ^(١).

وَمِنْ حِكْمَتِهِ: عَدْلُهُ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ ، وَعَدْلُهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَمَعَ النَّاسِ حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ ، وَيَدْعُو لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ.

شَجَاعَتُهُ وَإِقْدَامُهُ

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُجَاعًا مُقْدِمًا ثَابِتًا فِي الْمَعَارِكِ وَالْمَوَاقِفِ وَفِي الْحَقِّ ، وَفِي الدَّعْوَةِ ، وَفِي كُلِّ شَأْنٍ ، وَإِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ أَوْ اشْتَدَّتْ الْمَوَاقِفُ احْتَمَى بِهِ أَصْحَابُهُ ؛ لِثَبَاتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَدَهَائِهِ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَقَلْبِهِ ، وَتَمَامِ عَزْمِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) رواه أبو داود (٤٧٨٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠٩٩) ، وصححه العراقي في

تخريج أحاديث الإحياء.

جِهَادُهُ وَغَزَوَاتُهُ

أَمْضَى ﷺ سنوَاتِهِ كُلِّهَا - بَعْدَ بَعَثَتِهِ - جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدَعْوَةً إِلَى تَوْحِيدِهِ ، وَإِقَامَةَ شَرَعِهِ ، وَغَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِرَابَةَ (العشرين غزوة) حَضَرَ عَشْرًا مِنْ أَعْظَمِهَا ؛ هِيَ (بدر) ، وَأَحَدٌ ، وَالْمَرِيْسِيْع ، وَخَيْبَر ، وَالْحَنْدُق ، وَحَمْرَاءَ الْأَسَد ، وَفَتَحَ مَكَّة ، وَحُنَيْن ، وَالطَّائِف ، وَتَبُوك).

أَمَّا سَرَايَاهُ ﷺ : فَكَانَتْ - تَقْرِيْبًا - ضِعْفَ غَزَوَاتِهِ فِي الْعَدَدِ.

وَتَحَقَّقَ لَهُ فِي جِهَادِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَسَرَايَاهُ - مِنَ النَّصْرِ وَالْخَيْرِ وَالْغَنَائِمِ وَالْفَتْحِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَالْوَثَامِ - الشَّيْءُ الْكَثِيرُ وَالْأَثَرُ الْعَطِيرُ.

وَكَاتَبَ ﷺ الْمُلُوكَ وَالْأَمْرَاءَ فِي كُلِّ الْبِلَادِ وَالْأَنْحَاءِ ؛ وَبَعَثَ لَهُمُ الْكُتُبَ وَالسُّفْرَاءَ لِدَعْوَتِهِمْ وَأَقْوَامَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ وَالتَّوْحِيدِ.

وَكَانَ ﷺ فِي هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتِ يَنْتَهِجُ الْحِكْمَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ وَالْخُلُقَ الْكَرِيمَ ، وَيَجَادِلُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ؛ مِمَّا جَعَلَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ يَهْتَدِي وَيَعْتَنِقُ الْإِسْلَامَ.

أَثْرُ أَخْلَاقِهِ وَطَيْبِ تَعَامَلِهِ

وَمِنْ عَظِيمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ وَحُسْنِ أَوْصَافِهِ ، وَجَمِيلِ أَفْعَالِهِ
وظهور معجزاته ، ووضوح دلالته ، وسماحة سجاياه .. شَهِدَ لَهُ أَحْبَابٌ
وَرُهْبَانٌ ، وَبَشَرُوا بِهِ ، وَاعْتَرَفَ لَهُ حَتَّى أَعْدَاؤُهُ بِالنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ
وَالصِّدْقِ ؛ وَلَكِنَهُمْ يُكَابِرُونَ ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ ،
وَأَبُو لَهَبٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ ..

بَلْ أَسْلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَسَادَةٌ كِبَارٌ ، وَلَحِقُوا بِرُكْبِ قَادَةِ الصَّحَابَةِ ،
كَعَمَّةِ حَمْزَةَ ، وَعَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ ، وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَالنَّجَاشِيِّ
الْحَبَشِيِّ ، وَسُرَّاقَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ
الْحَارِثِ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَعِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَحَتَّى (الْجَنِّ) لَمَّا حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ
وَأَحْرَقَتْهُمْ النَّهْبُ ذَهَبُوا شَرْقًا وَغَرْبًا يَبْحَثُونَ عَنِ السَّبَبِ ، فَكَانَ مِنْهُمْ
نَفَرٌ سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ ؛ وَقَدْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ عَدَدٌ

كَبِيرٌ ، وَقَالُوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۝ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ ﴾ الجن ٢ ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةُ الْجِنِّ .

وفاته ودُفنه

توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين من ربيع الأول عام (١١) هجري، وعُمره ٦٣ سنة، وكانت وفاته في المدينة المنورة في حُجرة عائشة وحجرها؛ رضى الله عنها.

وقد عانى من المرض والحُمى، حتى إنه أُغمِيَ عليه في مرضه فأفاق؛ فقال: (أَحْضَرَتِ الصَّلَاةَ)؟ قالوا نعم، قال: (مُرُوا بِلَاأٍ فليؤدّن، ومُرُوا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالناس) ^(١).

فلما وجدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه خِفةً اتكأ على (العباس وعليّ) وذهب إلى المسجد فرجع "أبو بكر" ليقدم رسولَ الله؛ فأوماً إليه أن يثب مكانه، فصلّى أبو بكر - رضى الله عنه - بالناس ورسول الله خلفه. ورجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حُجرة عائشة - رضى الله عنها - ووضع رأسه في حجرها وقبض حينئذ.

وذهل الصحابة وحزنوا حزناً شديداً، وجاء أبو بكر وأكبّ عليه وقبّله؛ وقرأ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠.

(١) رواه البخاري (١٩٨)، ومسلم (٤١٨).

وَعَسَلَهُ وَكَفَّنَهُ: (عليٌّ، وأَسامة، والعباس، والفضل بن عباس) ودُفِنَ حيثُ توفِّي في حُجْرة عائِشة - رضِيَ اللهُ عنها - وصَلَّى عليه الصحابة جماعات، ثم بايعوا أبا بكر - رضِيَ اللهُ عنه - بيعةً حَسَنَةً.

إِثْرُهُ

لَمْ يَتْرِكْ ﷺ مِنْ دُنْيَاهُ غَيْرَ بَغْلَتِهِ، وَسِلاحِهِ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً، وَوَضِعَتْ كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَلَمْ يَرِثْهُ أَحَدٌ مِنْ قَرابَتِهِ وَلَا بَناتِهِ؛ لِمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْهُ ﷺ قَالَ: (لَا نَوْرَثُ، وَمَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ) ^(١).

وقد ودَّع الدنيا؛ بعد أن بَلَّغَ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونَصَحَ الأُمَّةَ، وتَرَكَتْنا على المَحَجَّةِ البيضاء لا يَزِيغُ عنها إلا هالِك.

واختار الرفيق الأعلى

وتوفاهُ اللهُ إليه

جَمَعنا اللهُ به في الجنة

وصلواتُ رَبِّي وسلامُهُ عليه.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٧١١).

وقد امتدحه ورثاه (حسان بن ثابت) - رضى الله عنه - فقال (١) :

بَطِيْبَةَ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٌ ؛ وَقَدْ تَعَفَّوْا الرِّسُوْمُ وَتُمْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذْ قَالَ فِي خَمْسِ الْمَوْدِنِ أَشْهَدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفْتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَالْأَوْثَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سِرَاجًا مُنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوْحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيْلُ الْمُهَنْدُ
وَأَنْذَرْنَا نَارًا ، وَبَشَّرَ بَجَنَّةٍ وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ ، فَاللَّهُ أَحْمَدُ
فَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ



(١) ديوان الصحابي الجليل حسان بن ثابت - رضى الله عنه - تحقيق عبد الله مهنا ، وهذه الأبيات من أعظم ما قيل في مدحه وراثته ﷺ.

الخاتمة

كانت هذه خلاصةً في أخلاق وشمائل سيّد الأنام
المعصوم والمؤيّد بوحي السماء عليه الصلاة والسلام
وهي فصلٌ من كتابي (المُصَفَّى في صحيح سيرة المُصْطَفَى)
استخلصتها هنا لأهميتها ؛ وسرّتها بأسلوبٍ سهل واضح
بلا تطويل ولا تعليق ، لعلها تُدرّس لأبناء هذا الجيل
ولعلها تكون نبراساً للأفراد والأسر وأجماعات رجالاً ونساء
وأسأل الله بفضله ورحمته أن يجعلها حُجَّةً لنا لا علينا
وأن يهدينا بها لأحسن الأخلاق ويصرف عنا سيئها

إنه أرحم الراحمين

وخير الغافرين.

المراجع

- القرآن الكريم.
صحيح الإمام البخاري.
صحيح الإمام مسلم.
السنن الأربع (لأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وجامع الترمذي).
السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني.
تفسير الامام ابن كثير؛ تحقيق د. السيد محمد السيد.
تفسير الشيخ ابي بكر جابر الجزائري.
البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق د. عبد الله التركي.
صحيح الشمائل المحمدية للترمذي ، للشيخ ناصر الدين الألباني.
الصحيح المسند من دلائل النبوة ، للشيخ مقبل الوداعي.
أين نحن من أخلاق السلف ، عبد العزيز الجليل.
أوصاف النبي ﷺ شرح شمائل الترمذي ، سميح عباس.
خصائص الرسول وشمائله ؛ د. شعبان محمد.
دلائل النبوة ، للإمام أحمد البيهقي ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.
دلائل النبوة ، لأبي نعيم الأصفهاني ، اختصار د. أحمد المزيد.
الرسول كأنك تراه ، ابراهيم الحازمي.
غاية السؤل في خصائص الرسول ، للإمام عمر بن الملّقن.

- قطوف من الشمائل المحمدية ، محمد جميل زينو.
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.
- كتاب التعريفات ، للإمام الجرجاني.
- الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق ، د. سيد السيلي.
- سوء الخلق مَظَاهِرُهُ وَعِلَاجُهُ ، محمد الحمد.
- فتح الباري شرح البخاري ، لابن حجر ، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد.
- فقه الحياء ، محمد المقدم.
- فن الحياة ، د. عبد القادر الشихلي.
- مكارم الأخلاق في ضوء القرآن والسُّنة ، محمد الياتي.
- هداية المشتاق لمحاسن الأخلاق ، عبد الله شقيبيل.
- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القُرشي.
- ديوان حسان بن ثابت ؛ رضي الله عنه ، تحقيق عبد الله المهنا
- ديوان الإمام الشافعي ، تحقيق د. ايميل يعقوب.
- ديوان الشوقيات ، لأحمد شوقي.

فهرس المواضبع

المواضبع	الصفحة
المقدمة	٧
مقدمات مهمة في الأخلاق	٩
معنى الأخلاق	١١
الأخلاق قسمة وأرزاق	١١
مصادر الأخلاق ودعائهما	١٢
مفهوم الأخلاق وحققتها في الإسلام	١٣
"التواضع" أبهى صور الأخلاق	١٤
الأخلاق من العقيدة والإيمان	١٥
ثواب حُسن الخُلُق ومكانتها العظيمة في الشريعة	١٧
متى يؤجر المسلم على أخلاقه	٢٣
هل يؤجر الكافر على حُسن الخُلُق؟	٢٣
فضل مجاهدة النفس على الأخلاق	٢٥
كيفية تحصيل وكسب الأخلاق الحسنة	٢٥
الأخلاق عند الحكماء والشعراء	٣٠
مظاهر سوء الخُلُق وخطرها	٣٢

الافتقار للاعتذار	٣٣
الحياء صمّام الأخلاق	٣٤
خطر الانسلاخ من الحياء	٣٧
الحياء المذموم	٣٧
النساء والحياء	٣٨
الحياء والحجل يوم القيامة	٣٩
صحيح الشمائل والأخلاق النبوية	٤١
لماذا كان خُلُق رسول الله عظيما	٤٣
وجوب التأسّي بأخلاق الرسول ﷺ.	٤٦
ما الأفعال والأُمور التي نقتدي بالرسول فيها؟	٤٦
نسبُه الشريف	٤٧
مُعجزاته ﷺ ودلائل نبوته	٥٠
خصائصه التي اختصّه الله بها	٥٢
حُقوقه علينا	٥٦
صِفاته الجسديّة	٥٧
خاتمهُ وأدواته ﷺ	٥٨

صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةُ وَمَجْلِسُهُ وَمُجَالَسَتُهُ	٥٩
كَلَامُهُ وَصَمْتُهُ وَفِصَاحَتُهُ	٥٩
كَمَالُ عَقْلِهِ وَذِكَاؤُهُ وَتَفَاؤُلُهُ	٦٠
نَوْمُهُ وَفِرَاشُهُ	٦٠
أَكْلُهُ وَطَعَامُهُ	٦١
صِدْقُهُ وَأَمَانَتُهُ	٦٢
لِبَاسُهُ وَطَهْوَرُهُ	٦٣
عِبَادَتُهُ وَصَلَاتُهُ وَخُشُوعُهُ	٦٥
صِيَامُهُ وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ	٦٧
أَذْكَارُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ	٦٨
قِرَاءَتُهُ لِلْقُرْآنِ	٦٩
تَوَاضَعُهُ وَلَيْسَ جَانِبُهُ وَعَفْوُهُ	٧٠
قِنَاعَتُهُ وَزَهْدُهُ فِي الدُّنْيَا	٧١
رَفْقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ	٧٢
كَرَمُهُ وَحَيَاؤُهُ	٧٤
حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ ﷺ	٧٥

دَعْوَتُهُ وَحِكْمَتُهُ وَعَدْلُهُ	٧٦
شجاعته وإقدامه	٧٦
جهاده وغزواته	٧٧
أثر أخلاقه وطيب تعامله	٧٨
وفاته ودُفنه	٧٩
إِرْثُهُ ﷺ	٨٠
أبيات جميلة في رسول الله لحسان بن ثابت رضي الله عنه	٨١
خاتمة	٨٢
المراجع	٨٣



اقرأ للمؤلف

- التلخيص المفيد في علوم القرآن وأحكام التجويد.
- آداب التلاوة وأخلاق القراء وقواعد الحفظ والتجويد والإقراء.
- التأصيل والتفريع في الفقه والأحكام والتشريع. (رسالة علمية).
- التنبيهات في علم المتشابهات.
- التحفة البهية في القواعد الفقهية.
- اللباب في الحقوق والآداب.
- أصول روايتي قالون وورش عن الإمام نافع المدني من طريق الشاطبية.
- المصنّف في صحيح سيرة المصطفى (في فقه السيرة النبوية).
- الصيام آداب وأحكام.
- الحج والعمرة والزيارة آداب وأحكام .
- ٩ غنائم أو ٩ مهالك في حفظ الصلاة أو تضييعها.
- الخلاصة السديدة في التوحيد والعقيدة.
- كنوز العجائب من علم الأمثال والحكم والوعظ والتاريخ والتجارب.
- النفع الحثيث في علم الفرائض والتوريث.
- دور الوسائل والتقنيات في طلب العلم والمعلومات.
- الروح والريحان في فضائل القرآن.
- جرائم الحدود والحراية نوازلها وعقوباتها في الفقه الإسلامي (رسالة علمية).
- الإرشاد في تربية الأولاد.
- أدلة الفقه.
- البيان والتعريف في علوم الحديث الشريف.
- روضة الأبرار في صحيح الأدعية والأذكار.
- هدى وشفاء "حول الصحة النفسية والأسرية والاجتماعية في ضوء الوحيين".
- يحبهم ويحبونه. فيمن يحبهم الله ومن لا يحبهم عز وجل.
- خواطر المنابر "مجموعة من الخطب الفقهية والاجتماعية والتربوية".

أَلْحُقُ الْعَظِيمِ

عَلَى صَاحِبِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

رَقْمُ الْإِيدَاعِ : ١٤٤١/١٢٦٩٤

رَدْمَك : ٤ - ٥٠٢٥ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨